خطاب الدكتور شاكر الفحام

في حفل استقبال الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

السيد وزير التعليم العالي
السيد الأستاذ رئيس مجمع اللغة العربية الموقّر
السادة الزملاء أعضاءَ مجمع الخالدين
أيها الحفل الكريم

١

ما أجملها سُنَّةً متَّبعةً أن نلتقي هذا اللقاء الحميد ، يسوده الجلالُ والودُّ ، نحتفي باستقبال أخٍ كريم ، ينتظم في صفوف السادة الخالدين ، يمضي في صحابتهم ، يسيرون معاً على الجادّة ، يكشفون عن الخالد المتألق من التراث ، ويدلّون على أصول العربية المبينة ونواميسها التي حليت بها فرزقتها الأصالة والخلود ، ويمسحون عن وجهها النضير ما علق به من أوضار عصر الجمود ، ويرودون بها دروب العلم الحديث والمصطلح والمعاصرة يروضونها عليها ، وهي الطيّعةُ الذلول ، تستجيب ، بمرونتها وقدرتها ، لمقتضيات العصر والبيئة ، لا يتأبّى عليها شيء .

وما أسعدني اليوم أن يتاح لي أن أرحّب بالأستاذ الصديق عبد الكريم زهور عدي زميلاً عزيزاً في مجمع اللغة العربية ، تتلقاه مستبشرين بمقدم فارسٍ مُعْلِم ، نجّذته التجاربُ ، وغذّته الحكمةُ ، قد فطر على حبّ العربية التي راعت ببيانها المعجز ، وتفتح لعينيه وقلبه سِحْرُها وعبقريتُها . فأكْرِمْ به عضداً يُشَدُّ به الأَزْرُ ، وركناً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شديداً يُؤْوَى اليه في الانتصار للعربية ، والذياد عنها ، وَلْتَخْصِبْ أرضُه المريعةُ بأطيب الأُكُلِ ، وأزكى الثمرات .

٢

ولد الأستاذ عبد الكريم زهور عدي بمدينة حماة سنة ١٩١٧ ، في بيئة محافظة ، ونشأ في أسرة عرفت بالاستقامة والصلاح والتدين والعلم ، فشبَّ على التمسُّك بفضائل قومه ، والتحلّي بآداب أهله .

بدأ دراسته الابتدائية بمدينة حماة عام ١٩٢٤ م ليتابع من بعدُ المرحلة الثانوية ، وقد حصل على البكالوريا الأولى ــ الفرع العلمي عام ١٩٣٥ م ، والتحق بعدها بحلب ، وقضى فيها سنةً نال في ختامها البكالوريا الثانية ــ قسم الرياضيات (عام ١٩٣٦ م) . وعُرف عبد الكريم طوال دراسته بالألمعية والفطنة ، وشهد له أساتذته بالتفوق والموهبة . وقد أحلّه ماحُبِيَ به من توقدالذهن ، ورجاحةالعقل ، وحسن السيرة مكاناً ممتازاً بين رفاقه وزملائه ، فكانوا يرجعون إليه ، لا في مسائل الدراسة فحسب ، بل في كثير مما يعرض لهم من شؤون ، يستشيرونه ، ويصدرون عن رأيه .

واختار عبد الكريم التعليم عملاً ، وقضى عامه الدراسي الأول (١٩٣٦ ــ ١٩٣٧) معلماً موقتاً في المدارس الابتدائية في بانياس فدمشق ، وهيَّأ له نجاحه في التعليم فرصة القبول للدراسة في دار المعلمين . وأمضى في الدار سنتين تخرج على اثرهما ليتولى التعليم في المدارس الابتدائية بمحافظة حماة . وأدّى عمله أحسن ما يكون الأداء : جدّاً وجهداً وبذلاً حتى سنة ١٩٤٢ م . وكان الشكر والثناء يتلقاهما خلال سنواته الثلاث ألسنةً ناطقةً بجميل ما صنع ، وشاهدَ عَدْلٍ على تقدير ما قام به .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم أُنشِئت دارُ المعلمين العليا بدمشق ، وافتُتح فيها فرعُ الآداب العربية ، اختير له ، بعد مسابقة أجرتها الوزارة ، عشرةٌ من نابهي المعلمين الذين عرفوا بالتفوق والكفاية في العربية وآدابها ليتابعوا الدراسة العالية ، فكان عبد الكريم أحدهم ، وقضى في الدار سنة واحدة (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ م) أوفد بعدها مع ثُلّةٍ من رفاقه الى كلية الآداب بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول آنذاك) ، والتقينا في القاهرة . آثر أن يلتحق بقسم الفلسفة ، وكنتُ أدرس في قسم اللغة العربية ، وعرفته من قرب ، فعرفت فيه الصديق الوفيّ ، الجادّ في عمله ، الرصين في سلوكه ، المتوقد الذكاء ، المرهف الحسّ ، النافذ البصيرة ، الواسع الثقافة ، المتعلق بوطنه وأمته أوثق تعلقٍ وأقواه ، المتشوف أبداً الى معالي الأمور . وقد حاز بعد ثلاث سنوات من الدراسة الجادة (١٩٤٦ م) الاجازة في الفلسفة بتقدير ممتاز ، عاد بعدها ليدرّس مواد الفلسفة في ثانوية دير الزور فثانويات حماة ، فدار المعلمات بحلب حتى عام ١٩٥٤ م .

٣

وعاش عبد الكريم همومَ جيله وقلقَه ، ولكل جيلٍ همومُه وقَلَقُه وقضاياه . وإذا كان الجيل الذي سبقنا قد شهد غدرةَ ميسلون النئيمة ، وفجَّعه عدوانُ الاستعمار الفرنسي على بلادنا ، بكل قسوته ورعونته وغطرسته ، وعبَّئه بكل القيم الوطنية والإنسانية ، فإن جيلنا قد فتح عينيه على أنباء الثورة السورية ، وشهد حَمَلات التأديب الفرنسية الشرسة ، تجوس خلال الديار ، تعيث فساداً ، وتبذر شرّاً ، لا تلتزم بشرعة ، ولا ترعوي عن ظلم وسفه ، تريد أن تقضي على الحسّ الوطني المتأجج في الصدور ، وأن تسكت صيحة الحرية ، وقد صمَّمت أن تقترف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كل حماقة لتبطش بالثورة السورية الكبرى ، وبقادتها المجاهدين الصابرين في سبيل وطنهم وأمتهم • لله فرسان الصدام الأحرار ، أتمثلهم بقاماتهم المشوقة كعوالي الرماح ، يختالون في أردية الفتوة ، قد وهبوا أنفسهم لأرضهم ووطنهم ، يقدمون ، لا يتهيبون الموت ، يذودون عن الحمى العدوّ الدخيل • كنا نلتقط فُتاتاً من أنبائهم ، وأخبار بطولاتهم وتضحياتهم ، تتساقطها خلسة ، ونحن نسترق السمع الى همس الكبار وأحاديثهم في مجالسهم • ونشأنا في جو الإرهاب والطغيان الذي فرضته فرنسا • كانت تخيم علينا الأحزان التي خلّفتها الثورة وشهداؤها ، وكان ينتفض في أعماقنا نداء الشهداء البررة أن نكون الأمناء على العقيدة ، الأوفياء لذكرى الآباء والأجداد ، نتابع الطريق لتحرير الوطن ، وتطهير الأرض من رجس المستعمر الغاصب •

وعاش جيلنا حركة عام (١٩٣٦ م) بكل ما ضمّته وانطوت عليه من أحداث ووقائع • شارك في النضال السلبي وفي التضحية أقصى المشاركة ، وتقبّل قَدَرَه بشجاعة ورضا ، ونهض بأعبائه ، لم يركن الى دَعَةٍ ، ولم يعرف هوادة في مطالبه الوطنية ، وتابع تطور ما يجري على الساحة بحيطة وحذر • كانت تلك تجربته الأولى في الحياة النضالية السياسية ، وكان في وقوف عصبة العمل القومي بمبادئها العربية ، ودعوتها القومية ، وشعارها الاخلاقي موقف المعارض للكتلة الوطنية ما فتح بصائر الجيل على أنماطٍ من التفكير السياسي والعمل القومي ، وهيأ له فرصة الاختيار • وآثر جيلنا الاختيار الصعب : التمسك بالمبادىء القومية ، ورفض المراوغات في العمل الوطني[1] •

(١) كلمتي تشير الى المبادىء القومية والشعارات الاخلاقية التي نادت بها عصبة العمل القومي ، فأنارت طريقنا ، وفطرتنا على الفكر العربي لا الاقليمي ، وطبعتنا على السلوك الملتزم =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وشهدنا نشوب ثورة فلسطين الكبرى عـام ١٩٣٦ م ، وراودتنـا الأحلام أن تنضمّ الجهودُ المشتّتة في بلاد الشام لننعم جميعاً بالاستقلال والوحدة . وكنا نمدّ الطرف وراء بلاد الشام لتشمل الوحدة المنشودة الى جانب الشام بلاد العراق ، والجزيرة العربية بأكملها ، بكل دولها وإماراتها ومشيخاتها . كان ذلك ما نرنو اليه ويطمح جيلنـا الى تحقيقه . ولكن الاستعمار الظـالم لم يلبث أن كال للجماهير العربيـة الضربات القاسية القاصمة دون رحمة ، وأقام في وجوهها المتاعب والمصاعب ، ووقعت الفئة الحاكمة أسيرة مطامعها واستسلمت ، وتتالت النكبات وتهاوت الآمال : انتزعت فرنسا المستعمرة لواء الإسكندرونة الحبيب من جسد سوريـة لتقدمه رشوةً لتركيا المغتصبة ، ونكثت عهودها التي قطعتهـا في توقيع المعاهدة ومنح الاستقلال . واستطاعت انكلترا ، بتآمرٍ لئيم ، أن تسكت الثورة الفلسطينية ، وتبـددت الأماني والرؤى امـام هجمة الاستعمار والامبريالية الشرسة . وكان الجرح الذي خلفته التجربة النضالية السياسية الأولى في جيلنا عميقاً ، بعيد الغور ، نديّ الدماء . وعانى جيلنـا مرارة الخيبة ، ولكن التجربـة القاسية أكسبته الخبرة في نضـال الاستعمار ، وعرّفته بأساليبه الملتوية الماكرة ، وهيأته ليخوض معه المعركة الحاسمة .

ليس من قصدي أن أمضي في التحدث عن هموم جيلنا ، أو اعدد صفاته ، فليس هنا مكانه ، ولستُ المهيّأ له ، ولكنها الكلمة العاجلة لا بدّ منهـا أوطّىء بها وأمهّد ، كي تتكشف لنا البواعثُ العميقة التي كانت تستأثر

= بالعقيدة . ولا صلة لها باولئك الساسة الذين تصدوا لقيادة العصبة ، لا يجاوز ايمانهم تراقيهم ، فكانوا أسوأ مثل في التقلب والمراوغة ، قد استعبدتهم أهواؤهم ، واستبدت بهم شهواتهم ، فهووا على عتبات المطامع ، يستجدون المناصب ، لا يعصمهم خلق ، ولا يزعهم مبدأ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بأبناء الجيل ، وتملك عليهم نفوسهم ، وتحفزهم للمشاركة الجادة في العمل السياسي الوطني مهما تكن مواقعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . لقد عاش جيلنا هذه التجربة السياسية ، وشهد بقلبه وجوارحه كل فصولها. كان الجيل الذي شارك في نضال المستعمر وقهره حتى تحقق الجلاء . ثم كان الجيل الذي تصدّى لمؤامرات الامبريالية وللدفاع عن مطالب الشعب في عهد الاستقلال .

٤

وخاض جيلنا معاركه مع الاستعمار ومع الفئات الحاكمة ، وعرف جيلنا الانتصار والظفر ، وعرف الهزيمة والخيبات المرة . وكانت كارثة فلسطين عام ١٩٤٨ التي بيّت لها الاستعمار والصهيونية أفدح الكوارث التي نزلت بالعرب ، تجاوزت بفظاعتها وشناعتها كل ما شهده تاريخ البشرية من كوارث الشعوب . لقد خطط الاستعمار الخبيث والصهيونية الباغية لهذه الكارثة بكل تفاصيلها ، وأخرجاها هذا الاخراج ليخزيا العرب جميعاً ، وليكتبا عليهم الذلة والخنوع الى الأبد ، (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) . ولكن الجماهير العربية التي صعقتها النكبة لم تيأ س ولم تستسلم ، وعادت تتابع مسيرة النضال والتحرر ، ويأتي عام ١٩٥٤ ليسطر في أجمل صفحاته ظفر الحركة النضالية التي قادتها الجماهير العربية في سورية ، وأزاحت عن صدرها كابوس الحكم الدكتاتوري الظالم . وبدأت تجربة الحكم الشعبي تبسط سلطانها على اوسع نطاق . وخاض الأخ عبد الكريم الذي أنضجته حركة النضال العربي بلهبها المقدس لُجّة المعترك السياسي والشعبي . ولقد دخل المعترك السياسي مزوداً بتجربته العميقة الغنية التي كانت قد كشفت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

له فساد الواقع السياسي في البلاد العربية • ألم يكن قد تطوع مع المتطوعين، والتحق بجيش الانقاذ (فوج اليرموك) في أواخر عام ١٩٤٧ م ليشارك المجاهدين شرف تحرير فلسطين من الهجمة الصهيونية • وهناك في أوار المعركة ، وعلى بطاح فلسطين الحبيبة ، ادرك عبد الكريم بفطرته السليمة ، وتجربته السياسية القومية زيف كل شيء في الحياة العربيـة السياسية ، وتبينت له ، مع رفاقـه ، خيوط المؤامرة التي كـان يمسك المستعمرون بأطرافها ليحركوا الدمى العربية ، وليضللوا الجماهير العربية عن مقصدها وهدفها ، وليقيموا دولة العدوان في قلب الوطن العربي • وبدأ المنعطف الكبير في حياة عبد الكريم القومية والسياسية وعاد ، وقد رفض واقعه المريض الرفض البات ، واخذ يبشر بالحياة الجديدة ، حياة الثورة والكفاح • وانتخب عبد الكريم نائباً عن حماة في تلك الفترة السياسية الخصبة من تاريخ سورية والبلاد العربية ، والتي بلغ فيها المدّ الشعبي أوْجَه •

سَقْياً لتلك الأيام الخالـدات في تاريخ العروبـة ، أيام الشموخ والعنفوان ، أيام تأميم قناة السويس ، واندحار العدوان الثلاثي ، وتصدي سورية للتهديد الاستعماري ، وسقوط حلف بغداد ، وبطولات الثـورة الجزائرية ، معجزة القرن في التضحية والفداء • وهل ينسى عربيٌّ على مدى الدهر تلك الأيام التي تعالت فيها موجة النضـال العربي تقارع الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وامتـدت من المحيط الى الخليج لتتوجها الجماهير العربية الظافرة بقيام الوحدة العظيمة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ م •

في تلك الأيام (١٩٥٤ ــ ١٩٥٨ م) أتيح للأستاذ عبـد الكريم أن يعمل مع اخوانه في المجلس النيابي ، وعلى النطاق الشعبي ، ليمتحنوا على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أرض الواقع المبادىء والمثل التي نادوا بها ، ودافعوا عنها ، وليستبينوا الطريق الصالح لتطبيقها . وكانت التجربة عميقة غنية فتحت عيني عبد الكريم وقلبه لآفاقٍ من العمل السياسي . وهل أفضل من التمرس اليومي والمعاناة الحية معينا ومرشدا لمن رزق الفكر الحصيف ، والرؤية البصيرة ، والإخلاص لقضية قومه وبلده ؟ كان عبد الكريم يرى في السياسة ما رآه من قبله أبو زيد البلخي صناعة « من أجلّ الصناعات قدرا ، وأعلاها خطرا ، إذ كانت صناعة بها تتهيأ عمارةُ البلاد ، وحمايةُ من فيها من العباد » . وجاهد الجهاد الأكبر ليكون عمله كفاء رأيه وقوله ، ولتأتي ممارسته طبق فكره ، في وقتٍ تباعدت فيه مسافة الخلف بين القول والعمل . كان يريد للعمل السياسي أن يرتقي ليبلغ الكمال ، ليكون في مستوى مطامح الأمة وأشواقها ، وكأنما كان يردد لنفسه كلمات الفارابي : « المدينةُ التي يُقصد بالاجتماع فيها التعاونُ على الأشياء التي تُنال بها السعادةُ في الحقيقة ، هي المدينة الفاضلة . والاجتماع الذي به يُتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل . والأمةُ التي تتعاون مدنُها كلها على ما تُنال به السعادةُ هي الأمةُ الفاضلة » .

وكان الأستاذ عبد الكريم يقدّر ما للانتصارات القومية من آثار بعيدة في حفز القوى النضالية الثورية على متابعة حركة التحرر ومسيرة التقدم ، فاحتفى في مقالاته بها ، وشدّد على المعاني النضالية المستخرجة منها . تجدُ صدى ذلك في مثل مقالاته : الحادث التاريخي العظيم لا تستنفد مرحلة تاريخية كل مضمونه ، ولا يحيط جيلٌ بكل معانيه ، يعني الجلاء عن سورية . الوحدة اول تفكيك جدّي لاستراتيجية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستعمار ، يعني الوحدة بين مصر وسورية . من هذه الوحدة تبدأ حرية العرب ، .....

وبقـدر ما كان يستفزّه الفرحُ لانتصارات قومـه ، وانتصارات الانسان في ميـادين التحرر والتقدم ، كانت تؤرقـه وتستثير همومـه الامبرياليةُ المتربصة ، والصهيونيةُ الماكرة بمخططاتها التآمريـة على الوطن العربي . كان يتخوّفُ الردة والنكسة والتخـريب والانزلاق في طريق الكوارث ودروب النكبات . ولطالما حذّر وأنذر .

والجميلُ الجميلُ أن أذكر هنا أن الأستاذ عبد الكريم الذي أراد أن يرتفع بالعمل السياسي لبلده ، قد ارتفع حقاً بصناعة الكتابة السياسية ، فاذا الناس يقرؤون أسلوباً رفيعاً من الأدب ، يعالج فيه صاحبه موضوعات انسياسة ، ويبسط فيه أنظاره وآراءه ، وقد طاع له البيان ، وواته ملكة التعبير الجميل[1] .

٥

عاد عبد الكريم بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية ليدرّس في دار المعلمين بدمشق عاما (١٩٥٨ ــ ١٩٥٩ م) ، ثم اختير مديراً لدار الكتب الظاهرية . وقـد حُبّب اليـه العمل في الظاهرية ، تحفّ به الكتب والمخطوطات ، فأنِس به وسكن اليه ، وبقي في الظاهرية حتى عام ١٩٦٣ . وأمكنته الفرصـة ، وهو المولع بالقراءة ، ليُرْوِيَ ظمـأه ، ويشبع نَهْمَتَه ، وأسعفه الوقتُ ليطالع فيطيل المطالعة ، فما تراه إلا والكتابُ

(١) تجد أبرز مقـالات الاستاذ عبد الكريم زهور السياسية القوميـة في صحيفة البعث (اعوام : ١٩٥٦ ــ ١٩٥٨ م) ، الأعداد : ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٦ ــ ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ــ ١٠٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جليسه . ويحضرني هنا التشبيه الساذج لأعرابيّ وصف نفسه فقال : « كنتُ كالرملةِ لا يقطر عليها شيءٌ إلا شربته » . وقد تغريه المطالعةُ أحياناً فيُجري القلم في صفة جملةٍ من الكتب مما تصدره المطابع يعرّف بها القراء ، فاذا انت تقرأ له في مجلة المجمع كلماتٍ يتناول فيها أمثال كتب : أنا والنثر للأستاذ شفيق جبري ، وتطور الغزل للدكتور شكري فيصل ، ومقام العقل عند العرب لقدري حافظ طوقان ، والعرب والعروبة لمحمد عزة دروزة ، ودراسات في العربية وتاريخها لمحمد خضر حسين ، والقومية العربية للدكتور حازم نسيبه ، وطبقات الصوفية للسلمي ، ومناهج البحث في علم النفس ، الى أمثال لها وأشباه . ويدهشك التنوعُ في مطالعاته ، والاحاطةُ في ثقافته واهتماماته ، وقدرته في النفاذ الى جوهر موضوع كتابه يعرضه في كلمات موجزات . يطالع كتاباً عنوانه : الدكتور صلاح الدين القاسمي ــ آثاره ، ويقع فيه على مقالته التي نشرها في المقتبس يحذّر فيها من خطر الصهيونية ، وينبّه الى مكايدها ومساربها الخفية في المكر ، فيعلق على ذلك بقوله : « هذه الكلمات التي تخطّت التاريخ ما يقرب من اربعين سنة تدلل على أن العرب لم يُؤْتَوْا من سوءٍ في الفهم ، وانما من سوءٍ في الظروف ، وسوءٍ في القيادة والسياسة العملية ، وتدلّل أيضاً على الألمعية المبكرة لصلاح الدين القاسمي .... »[1] . وتوثقت صلة الأستاذ عبد الكريم بالمجمع وأعضائه وأعماله خلال هذه الفترة ، التي لعله ما زال يراها أجمل الفترات في حياته ، يحتفظ لها في نفسه بأحلى الذكريات وأخصبها .

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، ٣٥ : ٤٩٥ ــ ٥٠١ ، ٣٦ : ١٤٦ ــ ١٥٠ ، ٣٧ : ١٣٩ ــ ١٤٠ ، ٤٩٨ ــ ٥٠١ ، ٣٩ : ١٣٨ ــ ١٤٤ ، ٤٩٤ ــ ٥٠٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وضمّ الأستاذ عبد الكريم الى عمله في الظاهرية التدريسَ في قسم الفلسفة بكلية الآداب • كان يُلقي على طلابه في الكلية محاضراتٍ في علم النفس ، وكان أبرز ما عُني به التحدث عن السلوكية • وقد ترك فيها أمالي لطلابه ، تقرؤها فيطالعك في سطورها عمقُ الفكرة واشراقُ الديباجة تلاقيا أحسن تلاقٍ ، مما يُنْصح عن تمكّن الباحث من موضوعه ومن لغته تمكّناً يتيح له أن يعرضَ قضايا السلوكية ، ويطرح مشكلاتها على هذا النحو من البيان الرائع ، يتغلغل وراء أدقّ الفكر وأغمضها ، ليبرزها بيّنةً واضحةً قريبة المتناول ، تختال في ثوبها القشيب • إنها موهبة التعبير الجميل قد أسلست له قيادها ، طيعةً لا تتأبى عليه في مجال • ولقد استجابت له في علم النفس الاستجابة التي ارتضاها ورضي عنها • هل أسمحُ لنفسي بعرض أول نموذج صادفتُه وأنا أقلب صفحات الأمالي بين يديّ لأختار كلمة منها • يقول : « أن تكون السلوكيةُ حركةً امريكية ، ذلك ما يؤكده ، اذا عدمنا أدلة أخرى ، الانتشارُ الواسعُ الذي حصلت عليه في الولايات المتحدة ،.... والاخفاقُ الذي أوشك ان يكون تاماً ، والذي مُنيت به في اوربا • فهناك لقيت القبول لما تؤكد ، وهنا لقيت الإعراض لما تنفي •

قد يكون سببُ الحماسة التي أثارتها في امريكا أن شعبها شعبٌ من غير تراث ، ولذلك تحمس لسيكولوجيا تدّعي أنها من نوع امريكي ، وأنها صناعة امريكية خالصة • ولكن نجاح السلوكية يرجع إلى أسباب أكثر عمقا • فهي ، لأنها حقاً نتاج امريكي ، ولأنها صدرت عن العقلية الامريكية ، كانت قادرةً على قضاء حاجاتٍ قائمةٍ هناك • فالشعب الامريكي ، كما هو معلوم ، شعبٌ مهندسين وميكانيكيين ورجال أعمال،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يحكمون على مذهب فكري ، كما يحكمون على آلة ، بتطبيقاته في الحياة والأعمال ، بمنفعته وبمردوده ، ولذلك تجاوبت السلوكية ، سيكولوجيا الموضوع والحوادث القابلة للملاحظة والتسجيل والقيـاس والتحقيق ، سيكولوجيا التنبؤ التي توحد بين الفكر والسلوك ، وتدرس الانسان الحي في تلاؤمه مع عالم الأشياء المألوفة والأعمال وكأنه آلة من الآلات ، تجاوبت تماماً مع ما يتطلبه المزاج الامريكي ... » ، ويمتـدُّ نَفَسُ القول على هذا النمط من التعبير ، يرضيك ويعجبك بقوته وجودة حبكه .

٦

وقعت الواقعة الفاجعة في الثامن والعشرين من ايلول ١٩٦١ ، يوم استطاعت الامبريالية الامريكية الغادرة وحلفاؤها أن يفصموا الوحـدة الرائدة ، وتفرقت بالقوميين العرب المؤمنين بوحدة أمتهم السبل ، وتشعبت بهم المنازع . واذا كان لي أن أصف وقع النازلة في النفوس ، ومشـاعر الأسى والقلق واليأس التي انتابت القلوب ، واضطربت بها الجوانح فاني أجتزىء بكلماتٍ قليلة من مقال للأخ عبـد الكريم تصف حقيقة موقف جيل القوميين العرب الذين صدمتهم الردة فأذهلتهم ، وهي ، الى ذلك ، نموذج لأسلوب الكتابة السياسية الذي اصطنعه عبـد الكريم وآثره ، يروعكم باشراقه ، ووشيه ، وسلاسته . يقول (وعنوان مقاله : معركتان ، والزمن : اول ايلول ١٩٦٢) : (حين أوقظتُ بغير رفق ، وقيل لي بلهجة عجلة ، فرحة مذعورة : « قم ، اسمع ، ثورة في العراق ، انقلاب ... هجموا على القصر الملكي ... » ارتجفتُ مجفلا ، وهرعتُ ألقي السمع ، ونزت دموعٌ عصيّةٌ : « دولتنا ذات الاربعين مليوناً ولدت ... أحلام الطفولة والفتوة المهاتين المعذبتين بوجود الغاصب ، رؤى الشباب والكهولة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والافكار والنظريات ، والقلق على المصير ، والتصميم .. حنين أمةٍ ألف عام ، أمة مقطعة الأوصال ، منتهكة الحمى ، مسحوقة الوجود ، تتحقق... تتحقق في هذه اللحظات ، وفي بغداد » . وضممتُ ولدي بنظرة وَجْد ، وتردد هَمْسٌ في النفس : « هذا ما فعله جيلنا ، استخرج أمتنا من تحت الركام ، ووضعها في تيـار الزمان ... وجيلكم سيعرج بهـا ، سيبدع حضارتها » . ذلك كان يوم ١٤ تموز ، يوم بلغت موجةُ الثورة العربية في المشرق ذروتها ، ومدُّها مداه . لم يعد في القلب المكتهل مكان للعاطفة ، وليس مطرحها على كل حال في مقال سياسي ، ولكنها ذكريات تلحُّ عليَّ ولا أستطيع لها إبعاداً ، وأنا أعيش في هذا الجو الخانق من التآمر المستهتر على وجود أمة ، على مصير أمة ، ومن التمزيق الحاقد لحقيقة هذه الأمة . لقد انتقموا منا شرَّ انتقام .... « تريدون أيها العرب أن تكون لكم دولة كبرى ؟ سنذري حطام هذه الدولة في الرياح ، وسنجعل من دولكم الصغيرة التافهة التي لم تقنعوا بها حطاماً أيضا ... وسنردكم الى أبأس مما كنتم فيه ، وسنذلكم في الأرض حتى ما ينبض منكم عرق بشرف ، ولا يورق في خيالكم أملٌ بنجاة » . ولكن ، من هم اولئك الذين انتقموا منا ، من هذه الأمة العربية ؟....) . وبمثل هذه الكلمات القاسية تصكُّ الأسماع ، تساقط كأنها الحجارة ، مضى عبد الكريم يصف معركة الانتقام من الأمة العربية ، معركة التنكيل بالقومية العربيـة ، تقودها الولايات المتحـدة الامريكية والصهيونية وحلفاؤهما من أعداء العروبة ، يحملون أحقـادهم المؤرَّثة ، يتميزون غيظاً ، قد بدت البغضاءُ مـن أفواههم ، وما تخفي صدورهم اكبـر ، انقضُّوا بكل مكرهم وغَدْرهم ، وبكل ضراوتهم وفتكهم ليمزقوا شمل الأمة العربية ، ويطووا صفحتها الى الأبد . أتراه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان ينظر بعين الغيب حين يقول في ختام مقاله الدامي ، وهو يصف آخر طرف من أطراف خطة التدمير الكبرى التي حاكتها الامبريالية لتحطيم الأمة العربية ، بلهجة كلها اليأس والتشاؤم : « إن هذه المعركة ، معركة الانتقام من الامة العربية ، معركة التنكيل بالقومية العربية التي ابتدأت ... هي جزء من خطة كبرى اخذت تبرز أطراف" منها هنا وهناك .... وطرف" آخر يطرّق له كي يبرز وهو أن يعلن عبد الناصر ، أو أي ناصر آخر يظهر في مصر ، اعتزال مصر مشاكل العرب ، واكتفاءها بنفسها ومصريتها » . لقد نجحت الامبريالية الامريكية والصهيونية حقاً في تمزيق أوصال الأمة العربية ، وطالعتنا مأساةُ عزل مصر عن العرب بوجهها القبيح في يوم نحس مستمر . وها نحن أولاء نشهد الدرك الذي تردّى اليه حاكم مصر ، سعى في الأرض ليفسد فيها ، قد زُين له سوء عمله فرآه حسنا .

كان عبد الكريم يـدرك حق الادراك دور النظريـة في الحركات السياسية . انها وحدها التي تجنبها المغامرة والردة والتشتت . وكـان يأسى أبلغ الأسى أن لم يكن للفكر أثره الفعّال في السياسة العربيـة . كان يتمنى « أن ينطلق العمل السياسي من نظرية كاملة واضحة ، أو شبه نظرية ، وأن تكون هذه النظرية مغروزة الجذور عميقاً في الواقع ، تعبر عن قواه التي تدبُّ في أحشائه ، وأن تظلّ دائماً في تفاعلٍ مع الواقع ، وأن يولّد هذا التفاعلُ الخطط السياسية المرنة حقا ، ولكن الواضحـة وغير المائعة ، وأن تُحدد هذه الخطط الأهداف القريبة مع التأكيد على صفتها الموقتة ، لتكون درجات في السلم الصاعد دائماً نحو الأهـداف النهائية ، وأن تعرف هذه الخطط القوى المتصارعـة والمترددة ، وتقلب القوى حسب تقدم الكفاح او انكفائه ، وأن تثقف قوى الشعب التقدمية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باستمرار ، وتنظمها بحزم » . ولكنه كان يصطدم دائماً بغياب النظرية في واقع السياسة العربية ، ويتساءل تساؤل الحزين : « لماذا كانت العاطفية والعفوية والارتجال والانتهاز هي الصفات التي يمكن ان توصف بها الحركات السياسية السليمة ـ اقول : السليمة ـ في المشرق العربي ؟ ولماذا كان العقل والارادة والتخطيط والثورة في عالم السياسة عندنا غرائب كغرائب الابل مبرحة ضرباً مطّردة ؟... هذه هي الحقيقة ، انها علقم ، ولكنها يجب ألا تلفظ ، يجب أن تتذوق حتى الثمالة ، ثم يعبر عنها بكل أساريرها القبيحة ، لتكون تجربة مثقفة هادية لهذه الأمة .... » .

لم تسكت النازلةُ عبد الكريم ، ولم يُلْجمه المصاب، فكتب مقالاتٍ ينصح فيها عن موقفه ، وينذر بالمخاطر التي تتردّى اليها سياسةُ الانفصال، تجدها منثورة في مجلة المعرفة ، وصحيفة البعث ، وكتاب : في الفكر السياسي[1] .

٧

وسُمّي الأستاذ عبد الكريم وزيراً للاقتصاد ، في أول وزارة ألّفتها ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ . ثم آثر التفرغ للعمل العلمي ، وقام بإلقاء محاضرات في قسم الفلسفة بكلية الآداب لست سنوات (١٩٦٩ـ١٩٧٥م). وكانت محاضراته هذه المرة في الفلسفة اليونانية ، وفي التصوف الاسلامي. وعاش عبد الكريم مع المتصوفين الكبار من أمثال الحلاج وابن عربي ، واستهوته الحياة الصوفية ، وسِيَرُ المتصوفة ، وسحرته أقوالهم ورموزهم . كان يرتدّ بالتصوف الى منابعه الأولى ، ويقف الوقفات الطوال.

(١) مجلة المعرفة ـ عدد حزيران ١٩٦٢ ، صحيفة البعث (عام ١٩٦٢ م) ، الاعداد : ٣ـ١٢ . في الفكر السياسي (دار دمشق) ، الجزء الأول ـ ١٩٦٣ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يتقصّى حركة الزهد العربية الأولى ، ويلابس الزهاد الكبار كالحسن البصري ومحمد بن واسع ، ويستنطق أخبارهم • وراح يغري طلابه بالاطلاع على كتب القوم ، ويتأنسهم بقراءة الرسالة القشيرية وما ينحو منحاها • كان يختار لهم النصوص ويقرئهم ويفسر لهم ، يمضي بهم رويدا حتى يتألفهم ، في قراءة متأنية ناقدة ، تروضهم على فهم النص وتذوقه ، وتبين معانيه وما تومىء اليه رموزه ، مما يدنو بهم للكشف عن القيم الانسانية المستسرّة فيه • وكان لا يخليهم ، في أثناء ذلك من دراسة النص على نحو أدبي تدلّهم على مواطن الجمال ، وتنمّي فيهم الحسّ الفني • وسحره الأدبُ الصوفي حقا ، كان يرى فيه متعة فنية ، وتجربة روحية خصبة تغني قارئها ، وتطلُّ به على آفاق من الوجدان والتذوق والسلوك والمجاهدة رحاب • وأخذ يبشّر ، استجابة لهذا التعلق ، بأن يُقدَّم الى الطلاب مختارات" من الأدب الصوفي الى جانب ما اعتدنا أن نقدمه لهم من مأثور الشعر ورائع النثر • واذا كانت دراسات الاستاذ عبد الكريم في المتصوفة والتصوف تنطوي على المعرفة التي تخاطب العقل فانها تمتلك ، الى ذلك ، القدرة الموحية بالتجربة الروحية العميقة التي عاشها المتصوفة ، والتصوير المؤذن بتذوق معانيهم واشاراتهم ورموزهم •

ولقد أتاحت له هذه المعاناةُ الحيةُ مع المتصوفة واقوالهم ورموزهم أن يعود الى قراءة الشعر العربي ، والشعر الجاهلي خاصة ، بتجربة روحية جديدة ، ونظرة تستشف الرموز التي تتراءى من خلال الألفاظ والصور والمعاني • وها هو ذا يتناول موضوعات وقضايا في الشعر يعالجها على نحوٍ جديد مبتكر ، لعله لم يُسْبق اليه • يقف بك أمام صورة النخلة وصورة الليل يستخرج دلالتهما الرمزية في الشعر الجاهلي • وتستأثر باهتمامه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أوصاف الحية وما أضفاه عليها الشعراء ، يستقريها بتذوقٍ جديد يتعرف من ورائه الى ما أومأ اليه الشعراءُ الجاهليون من رمز • ونال الماءُ وقيمته الرمزية في الشعر الجاهلي من جهده ومن اهتمامه النصيب الأوفى • ومن دراساته النفسية الشائقة تلك الدراسات التي عرض فيها لعروة بن الورد ولثلاثة من الشعراء الصعاليك : الشنفرى وتأبط شرا والسليك بن السلكة• وكانت دراساته الصوفية سبيله لدراسةٍ طريفة موضوعها : صورة الرسول العربي في عقـول المسلمين • إني كلمـا حاولت أن أفسر سر ضن الأخ عبد الكريم وإقلاله في نشر دراساته ، تراءت لي حكمةُ الصوفي الكبير ابن عطاء الله السكندري : « ادفن وجودك في أرض الخمول ، فما نبت مما لم يدفن لا يتمُّ نتاجه » •

يتسم كلُّ ما نشره الأستاذ عبـد الكريم بالتعمق في الدراسـة ، والاستقصاء في تتبع الفكرة ، والوضوح في العرض ، والاشراق والجزالة في التعبير • ولعل في مقالاته الأخيرة التي سطرها في عرض (أعمال سامي الدروبي في ميدان علم النفس) وفي تحليلها نموذجاً معبراً عن الطريقـة التي يصطفيها في كتابته : يتعمق الفكرة ، ويستقصي جوانبهـا متتبعاً ، ويناقش وينقد مقوما • يطل عليك وانت تقرؤه في بزة بحاث مجادل ، ونظار صبور ، وناقدٍ لا يتعبه التنقير والتدقيق ، وكأن لسان حاله : « ما يكتب دون جهد ، يقرأ عادة دون استمتاع » • وهو الى ذلك لا تشغله معانيه عن العناية بأسلوبه ، بل لعله لا يرى لمعانيه أن تبرز الا مترديةً هـذا الثوب المتنوّق فيه • ثم اني لأستشفُّ في مقالاته هذه معنى أخلاقياً تنطوي عليه• أليس فيها الوفاء كل الوفاء لصديق عزيز غادرنا أحبَّ ما كان الينا[1] •

(١) مجلة المعرفة (عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ م) ، الأعداد : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨

أيها السادة

اننا ، ونحن نحتفي باستقبال الزميل الأستاذ عبد الكريم ، لا نملك إلا ان نذكر سلفه الراحل أستاذنا الدكتور جميل صليبا بأحسن ما يُذكر به فقيد عزيز ، ونشيد بأياديه البيض على العربية وعلى الناشئة . لقد أسعدني الحظُّ فكنتُ بين تلاميذه عام (١٩٤٠ ــ ١٩٤١ م) في تجهيز دمشق الأولى ، حين آثر ، وهو المثقل بالأعباء في رئاسة التعليم الثانوي ، أن يقوم بتدريس المنطق في صف الرياضيات (البكالوريا الثانية) . كنا ننتظر بشوق وبهجة ساعتي المنطق ، وقد اختار وقت تدريسهما صباح السبت من كل اسبوع . وكنا نعجب لدقته البالغة ، يبدأ درسه في الثامنة صباحاً لا يتأخر دقيقة واحدة ، وكان درسه شائقاً ، جم الفوائد ، ولاأنسى صوته المحبَّب يتسلسل بكلماته الفصيحة المبينة في رفق وتؤدة تسلسل الماء العذب ، وتُسْلمه الفكرة الى الفكرة في ربط محكم ، حتى ما تكاد تندُّ عنه واحدة تتصل بموضوعه . كان يمضي في حديثه ونفوسنا متعلقة به تتابعه حتى ينهي درسه ، وقد استوفى كل عناصر بحثه ، وكأنه يقرأ خواطرنا وما يعنُّ لنا من فِكَر ، فما تكاد تخطر لنا فكرة نسأل عنها بعد عرضه الممتع الواضح المحيط . لقد كان معلماً مربياً حقا ، وكان له قدرة لا تحدُّ في جذب طلابه وسامعيه والاستئثار بكل انتباههم . واستطاع في كل الميادين التي عمل فيها أن يكون المجلي المبرز السبَّاق . انضمَّ الى حلبة الخالدين ، وآثر المجمع بحبه ، وكان له في خدمة العربية ، والإبانة عن أسرارها ودقائقها والمنافحة عنها القِدْحُ المعلَّى . لقد وقف في الساحة مع زملائه ورفاقه المجمعيين ، يحمل الراية ، يتقدم بها مظفرا موفقا اربعاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وثلاثين سنة ونيفاً (آذار ١٩٤٢ ــ تشرين الأول ١٩٧٦ م) حتى وافـاه الأجل المحتوم ، فتلقّى منه الراية الأستاذ عبد الكريم باليمين ليمضي على انسنن القاصد ، يكمل البناء الذي أرسى السابقون دعائمه ، يشارك في حمل الرسالة التي تسلمناها وائتمنا عليها • فلئن عظُم رُزْؤُنا بفقيدنا الغالي ، إن لنـا في خلفه الأستاذ عبد الكريم الأمل الأخضر والرجـاء الخصيب :

إذا مات منـا سيّدٌ قام بعـده نظيرٌ له يُغْني غَناه ويَخْلُفُ

ايها الزميل العزيز

هنيئاً لك مكانتك بيننا في رحاب المجمع ، تقف معنا بعزيمتك وهمتك ، تذود عن العربية المبينة في هذه المعركة الضارية التي يشنها علينا من كـل حَدَبٍ أعداء أمتنا الحاقدون ، يريدونها المعركـة الحاطمة ، لا تُبقي ولا تذر ، يدمّرون فيها كل شيء • لقد عبثوا بتاريخنا ، قطّعوا أرحامنا الواشجة ، باعدوا بين أنسابنا المتشابكة ، مزّقوا وطننا ، سخروا من قيمنا ومثلنا ، أنشبوا فينا مخالبهم دون رحمة ، واستهانوا بنا بين الأمم • ثـم زادوا فانهالوا على هذه اللغة الشريفة الكريمة ، الحِصْنِ الذي نئل اليه ونلوذ به ، في حفظ وحدتنا ، وضمّ شتاتنا ، فهاجموها يريدون أن يدكّوا بنيانها من القواعد ، قد أرّقهم وأقضّ مضاجعهم أن تظلّ ، على كثـرة ما كادوا لها ودبّروا ، ثابتةً شامخة كالطود ، نعتصم بها ، نتفيّأ ظلالها ، فتضافروا جميعُهم ، جميع قوى الشرّ ، وأجلبوا جميعا وانقضّوا يريدون استئصال العربية من الجذور • قـد افتنّوا في ذلك وأعـدوا له شتى الأساليب الماكرة الخادعة • وأقسى ما في المعركة وأصعبه أن انضمّ الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اعدائها الضالّون والمضللون من أبنائها ، وما أكثرهم ! قد زُين لهم الريّ بماءٍ آجن .

كيف يتأتى لك أن تفسّر هذا الإعراض الأعمى ، وهذا العزوف في الجامعات العربية عن اصطناع العربية لغة علم وحضارة ، يؤثرون عليها اللغات الأجنبية . أنَسُوا أن العربية كانت لغة العلم والحضارة لجميع الشعوب التي سكنت ما بين البرانس الى أسوار الصين ، كتبوا بها مؤلفاتهم ، وتخيروها لسان محاوراتهم ومناقشاتهم وندواتهم العلمية ، بله عباداتهم ، مئات السنين ، لا يرتضون بها بديلا ؟

كيف تتقبل ، والعربية واحدة من اللغات الست التي يُسمح بالتحدث بها في المحافل الدولية ، أن يتخلّى عنها أبناؤها ليرطنوا بلغات أجنبية ، تقرباً الى أعدائهم وزلفى ، أو جهلاً بمنزلة لغتهم العظيمة بين اللغات . يا لله ! لقد أسفّوا حين طار الناس ، ورضوا بالحقير حين أبى غيرهم إلا صعوداً في المعالي .

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم لبئست الخلتان : الجهلُ والجبنُ

لن أمضي في تعداد وجوه المأساة ! ولكنها نفثةٌ مصدور في هذه المحنة الكبرى التي يمرّ بها شعبنا العربي الأصيل العريق ، لن تزيده إلا استبصاراً في أمره ، واستمساكاً بحقه ، وثباتا على مبادئه ، وصبرا في نضاله ، واندفاعاً في تضحيته حتى يتحقق النصر ، ويتنفس الصبح ، يشرقُ بنوره على الأرض العربية الموحدة الحرة لا غاصب فيها ولا دخيل . أما التجربة المرة التي تمتحن بها العربية ، الغريبة بين أهلها فلن يطول ليلها . ليُطمئنّنا الأملُ بأن الظلمة منجلية ، وأن اشراقة الفجر قريب ، وأن العربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ستعود سيرتها الأولى ، تحتل مكانتها السامية التي بلغتهـا في أمسها ، (وما ذلك على الله بعزيز) .

٩

أليس من الوفاء أن نذكر بالتجلّة والتقدير اولئك الفرسان الرواد الاوائل ، دعاهم صوتُ العربية الحبيب الى نفوسهم فلبوه ، ونهضـوا تظللهم الرايةُ العربية تخفق في سماء دمشق بعد طول غياب ، ليرسوا لهذا المجمع الخالد قواعده . هاهم أولاء أراهم يخطرون فرحين مستبشرين ، على وجوههم بسمة ، وفي قلوبهم تطلّعٌ وتشوف ، قد تلببوا واستلأموا لتعريب الألسنة والدولة ، وما أصعبها مهمة ، ولإحياء التراث واللغة ، وقد طال عليهما العهد في زوايا الاهمال والنسيان . سقى اللهُ تلك الايام ! كانت أيام العنفوان والشموخ والعزة القومية ، وكانوا ثمانية فرسـان غمرتهم الحماسةُ والايمان ، فاضطلعوا بأعباء العمل العظيم الشـاق ، وما أشقّ العمل في مرحلة التأسيس ، لم ينوا ولم يفتروا ، ولم تكرثهـم العوائق والمثبطات ، وما اكثرها . ومضوا على صراط مستقيم ، ينظرون في إصلاح اللغة المتداولة ، ووضع ألفاظ للمستحدثات العصرية ، ويعملون على نشر آداب العربية واحياء مخطوطاتها ، وتعريب كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية ، يضم الى ذلك التأليف وتشجيعه ، والعناية بالآثار وجمعها خشية أن تنالها يد العفاء والبلى . ثم أصدروا مجلة المجمع يتابعون على صفحاتها الرسالة التي نيطت بهم . ولقد كان المجمعيون ، أغدق الله عليهم صَوْب رضوانه ، على بينة من أمرهم في عملهم ، يتأتون للامور من وجوهها ، لا تغيب عنهم صغيرة تفسد عليهم ما أخذوا بـه . انهم دعاة الإحياء والتجديد ، دعـاة البعث والمعـاصرة ، يتشوفون الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المستقبل الوضيء دون أن يفقدوا الهوية العربية ، يريدون ان يقيموا الجسر الذي نعبر عليه حتى لا تكون هوة فاصلة بين الغابر والحاضر • هل تريد رمزاً يلخص لك طريقهم ؟ لقد اختاروا ان يجتمعوا في رحاب العادلية والظاهرية ، في هذه البقعة العزيزة الغالية ، تنطوي حناياها على تاريخ دمشق ومجد العرب ، تكر علينا أحاديثَ الماضي ، تقص علينا ما قامت به دمشق الخالدة ، وما صنعته جماهيرها ، جماهير الشام ، في ظلال نورالدين الشهيد ، وصلاح الدين الناصر ، والعادل ، والظاهر ، نهضوا في الأزمات الشداد التي تصدت فيها دمشق العروبة لمقاومة غزو أوربا ، يذودون عن الديار ، ويشيدون دور العلم ، ويكرمون العلماء ، ويصنعون المكرمات • اني تاريخ حافل يتراءى لك ، اينما تلفت لا تقع إلا على أثر يواجهك ، يروي لك أحاديث تلو احاديث ، وقصصا اثر قصص ، فانت تتنقل بين المآثر والمكارم • ولكن المجمعيين ، حرصوا الحرص كله ان يبقى المجمع وثيق الصلة بالجامعة التي تمثل كل الطموح وكل التطلع في ارساء النهضة على قواعد من العلم الحديث والثقافة المعاصرة ، وتعاون المجمع والجامعة معاً على اداء الرسالة : في احياء التراث وخدمة اللغة ، وفي ترجمة العلوم الحديثة ، وفي اصطناع المصطلح • فكانت الجامعة بهمة اساتذتها الاوائل الجامعة العربية الاولى التي أعادت للغة العربية رونقها ومكانتها ، واصطنعتها لغة علم وحضارة ، لم تشح بوجهها عنها ، على كثرة ما عانته في سبيل ذلك من مقاومة الاستعمار وتعنته • وكان مجمعنا بهمة مؤسسيه الأوائل اول المجامع في البلاد العربية ، رفعوا مناره ليكون حافظاً للعربية ورِدْءاً • ولقد تسلطت فكرة ارتباط المجمع بالجامعة تسلطا دعا الى ضم الجامعة والمجمع معا فترة من الزمن حرصاً على ابقاء هذا المعنى (الاحياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمعاصرة) حيا في النفوس ، وحماية له أن يُطمس او يتفلت على مـر الأيام[1] . وان هذه الصلة الوثيقة التي قامت آنذاك بين المجمع والجامعة عن وعي وارادة يجب ان تظل وطيدة ، حية ، ليتحقق لنا ما نريد للغتنا مـن مواكبة العلم ومعاصرة الحياة المتجددة . ورمز ثان ينبىء بهذا النهج الواعي الفطن في الاحياء ، الذي سلكه المجمعيون ، يتراءى لك في شعار المجمع. لقد اختاروا شجرة الزيتون رمزاً لمجمعنا الخالد . ألم تكن هذه الشجرة المباركة رمز بلاد الشام كما كانت النخلة رمز بلاد العراق . ما أجمـل ما اختاروا . لقد أحيوا هذا الرمز الرامز يصل الحاضر بالماضي ، وجسّدوا كلمة الفرزدق شاعر العرب يخاطب بني امية :

فنصحي لكم قاد الهوى من بلاده الى منبت الزيتون من منبت النخلِ

تلك هي سيرة الرواد المجمعيين ، طيب الله ثراهم ، سنّوا لنا طريقـاً جَدَداً في إحياء التراث ، واصطناع العربية ، يحفظ علينا عروبتنا وتاريخنا وهويتنا ، ونمضي من بعدُ ، بقدم ثابتة ، في ثقة وطمأنينة ، الى المستقبل الذي تتشوف له ، نخوضُ اليه عباب العلم والتقانة (التكنولوجيا) ، شعارنا التقدم ، وهمنا وغايتنا اللحاق بالركب العالمي ، نسلك اليـه كل سبيل ، لنشارك في صنع الحضـارة الإنسانية ، ونستعيد مكانتنا تحت الشمس ، فعل الجدود الأكرمين . فلنقتدِ بفعالهم ،ولْنقفُ على آثارهم ، بالعمل الدائب لا يفتر ، والعزيمة الصادقة ، جمعاً بين البعث والمعاصرة ، بين

---

(١) تأسست الجامعة السورية مؤلفة من المجمع العلمي العربي ومعهدي الطب والحقوق (١٥ حزيران ١٩٢٣) ثم فصل المجمع لتكون له شخصيته المعنوية على المثال الذي جرت عليه معظم مجامع العالم (١٥ آذار ١٩٢٦) ـ انظر : اعمال المجمع العلمي العربي في دمشق عن سنواته (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) : ٣١ ، والتقرير الرابع بأعمال المجمع العلمي العربي : ٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الإحياء والإبداع ، بين التراث وفتوحات العلم الحديث • ولتتألق العربية المبينة وضاءة ، تبسط نورها في الخافقين •

أي عواطف متداخلة ، وأي نوازع مشتبكة ، تتنازع نفسي ، تنتابني في مقامي هذا الذي أقوم به ، تطلّ عليّ رؤى المجد وطيوف العـزّ • أتراني أنسب الى التكرار والترداد وأنا أشيد بمآثر قومي العظام ، طلعوا على الدنيا شموساً مشرقات ، « سكنوا كل ذروة من أشمّ » فأفاضـوا الخير ، وعلّموا المحبة ، وعاشوا التسامح ورفعوا بنيان الحضارة العربية الزاهرة سامقاً شامخاً يتلألأ ضياؤه ، فأراحت في ظلاله شعوب وشعوب • إنها الحضارة الخيرة السخية السمحة تسع الناس جميعا ، لم تحجب نورها عن أحد ، ولا بخلت بعطاء ، ولم تحتكر معرفة ، ولم تستغل ، ولم تحتجن • هي للإنسان أنّى كان ، ينهل منها كل وارد بقدر ما يريد . حضارة غايتها الانسان ، وشعارها ودثارها العمل للرقي بقيمه ومُثُله • أتراني أنسب الى التعصب حين تفتنني مآثر قومي الخالدات ، وتبهرني صنائعهم ، وتسلأ صدري فضائلهم ؟ لقد ساكنت قلبي هذه الصور الرائعات من البطولات والمحامد والمساعي ، شغفتني حباً ، وهي تتراءى أبداً حية ناضرة أمام عيني، أتمثلها ، تطالعني بمحياها الجميل ، تبعث في نفسي الآمـال المورقات والتفاؤل والنشوة ، وتبشرني بالمستقبل المشرق كلما ادلهمت الظلمات أمام قومي : ظلمات الفرقة والخصام والتخلف ، قد أغرقهم فيهـا الاستعمار الخبيث والامبريالية الغادرة والصهيونية الماكرة ، تآمرت جميعا على قومي، جثمت على صـدورهم ، لتحول بينهم وبين الوحدة والحرية والسـلام والتقدم والازدهار ، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتم نوره)، ويتم نعمته . كتب الله لقومي السلامة من شرورهم، والنجاة من حبائلهم، ومكّن لقومي في الأرض .

أتراني أنسب الى العصبية حين أجدني مفتوناً مأخوذاً بلسان قومي المعرب المبين، أوثره، أدين بحبه، قد توثقت ألفتي له، وتبينت لي أطراف من أسراره وسحره، فراعني وتسلك علي نفسي . وضننت به على اللحن والخطأ، ووددت لو أوتيت بيان شاعر، وبلاغة كاتب وخطيب لأكشف عن مزاياه، وأقف قلمي على التغني بمحاسنه واعجـازه . اني لأتطلّ الى الآفاق أنتظر اشراقة الفجر، يوم تعمّ العربية المبينة وتأخذ مداها . وان مع اليوم غدا، وان لنا الغد المشرق ان شاء الله . وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net